صور من تسامح الشريعة الإسلامية في التعامل مع أهل الكتاب

عمر علي أبوبكر
قسم الفقه وأصوله، جامعة المدينة العالمية ماليزيا
umar.aliyu@mediu.edu.my

مصطفى أبوبكر مصطفى
جامعة ولاية يوبي النيجيرية
umar.aliyu@mediu.edu.my

الملخص

إن السماحة من الصفات المحمودة التي أكدت الشريعة الإسلامية على أهميتها ومكانتها بين المسلمين أنفسهم وبين المسلمين وغيرهم لا سيما أهل الكتاب. وعند تتبع الأسس التي بنت الشريعة الإسلامية عليها العلاقة بين المسلمين وغيرهم تجدها أسسا إنسانية وعادلة كما قال تعالى: "لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ[1]". فالإشكالية تظهر في النظر إلى الواقع المعاصر حيث نُبذت تلك الأسس وراء الظهور واتُّخذت العداوة والبغضاء أسسا للعلاقة بين المسلمين وغير المسلمين. فالهدف من هذا البحث هو الوقوف على مفهوم التسامح في الإسلام وإظهار موقع أهل الكتاب من منظور الشريعة الإسلامية مع ذكر بعض النماذج والتطبيقات للتسامح في الشريعة الإسلامية. والمنهج المتبع هو المنهج التحليلي ثم التطبيقي. ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث: إن الإسلام دين بنى الله أُسسه على الرحمة والسماحة وحسن المعاملة مع الغير. وإن الإسلام لم ينتشر في أنحاء العالم بالسيف أو القوة بل بحسن معاملة المسلمين وتطبيقهم لسماحة الإسلام في برهم وبحرهم.

الكلمات المفتاحية:

التسامح، الشريعة الإسلامية، أهل الكتاب.

[1] سورة الممتحنة. الآية: ٨ – ٩.

1. 1 المقدمة

إن القرآن الكريم هو المصدر الأول والمنبع الأصيل لقواعد الشريعة الإسلامية، وقد بنى الله هذه الأحكام على أسس

التسامح والعفو الشامل مما يدل على صلاحيتها لكل زمان ومكان. حيث قال تعالى: "وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ[1]" وخاطب رسوله الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ[2]" وكذلك في سورة الممتحنة أمثلة وصور للتسامح لا سيما في العلاقة بين المسلمين وغيرهم وذلك في قوله تعالى: "لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ[3]" فالآية الأولى لم ترغب في العدل والإقساط فحسب إلى غير المسلمين الذين لم يقاتلوا المسلمين في الدين ولم يخرجوهم من ديارهم بل رغبت الآية في برهم والإحسان إليهم. والبر كلمة جامعة لمعاني الخير والتوسع فيه فهو أمر فوق العدل. فالبحث يسعى لبيان صور من تسامح الشريعة الإسلامية مع أهل الكتاب، وذلك من حيث معرفة مفهوم التسامح في الإسلام ونظرة الشريعة الإسلامية إلى أهل الكتاب ثم نماذج من تسامح الشريعة الإسلامية مع أهل الكتاب في المعاملات، وقداقتصر الباحث على البر وصلة الرحم والهبة والنفقة وأكل الذبيحة والزواج والمصاهرة، وتحدثت الورقة في النقطة الأخيرة عن بعض التطبيقيات لسماحة الشريعة الإسلامية.

1. 2 أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في إظهار معاملة الشريعة الإسلامية السمحة وتحقيقها للسلام والأمن في المجتمع وكذلك رغبتها في إظهار صلاحيتها لكل زمان ومكان، للنهوض بمستوى العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب خاصة، وبين المسلمين وغيرهم بوجه عام، ولا شك أن تلك العلاقة يفترض لها أن تقوم على أساس التسامح والتعاون وإظهار محاسن الشريعة الإسلامية الغراء حتى تفهم على حقيقتها، ولا يفترض لها بحال من الأحوال القيام على البغضاء والشحناء والكراهية والقتل والتخريب لتُفْهَمَ على غير حقيقتها بفعل فاعل ما، مما جعل غير المسلمين من أهل الكتاب وغيرهم ينظرون إلى الشريعة الإسلامية وكأنها شريعة تدعوا إلى القتل وسفك الدماء. فهذا البحث يسعى جاهدا لإظهار بعض الصور المتعلقة بتسامح الشريعة الإسلامية وذكر بعض تطبيقاتها ليظهر بوضوح كيف نظمت وأحكمت الشريعة الإسلامية المعاملة مع غير المسلمين.

1. 3 مشكلة البحث.

تكمن المشكلة في هذا البحث في تطبيق القواعد والأسس التي بنت عليها الشريعة الإسلامية العلاقة بين المسلمين وغيرهم بالأخص أهل الكتاب. حيث إن كثيرا من المسلمين الآن يرون أن العلاقة بينهم وبين أهل الكتاب علاقة عداء محض، إلا أنه بتتبع أحكام الشريعة تظهر جليا أن

---

(1) سورة الحج. الآية: ٧٨.

(2) سورة آل عمران. الآية: ١٥٩.

(3) سورة الممتحنة. الآية: ٨ – ٩.

الإسلام وضع قواعد وأسس تنظم تلك العلاقة. وبناء على هذه الإشكالية تأتي هذه الأسئلة.

1. 4 أسئلة البحث

1- ما مفهوم التسامح في الشريعة الإسلامية؟

2- ما هو منظور الشريعة الإسلامية لأهل الكتاب "؟

3- ما هي أثر تطبيقات التسامح الإسلامي في المعاملة بين لمسلمين وغيرهم؟

1. 5 أهداف البحث

1- توضيح مفهوم التسامح في الشريعة الإسلامية.

2- توضيح نظرة الشريعة الإسلامية لأهل الكتاب.

3- التطبيق الحقيقي لتسامح الشريعة الإسلامية المتمثلة في المعاملة بين لمسلمين وغيرهم.

1. 6 الدراسات السابقة.

لقد تتبع الباحثان الدراسات التي لها علاقة بالبحث بغية الحصول على دراسات سابقة للبحث فمن تلكم الدراسات ما له علاقة مباشرة بالبحث ويصلح كالآتي:

كتاب" سماحة الإسلام"

تأليف: الدكتور: أحمد محمد الحوفي. – طبقة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابعة لوزارة الأوقاف المصرية. القاهرة. 1422هـ -2001م. وهو كتاب قيم في حدود 259 صفحة، فصّل المؤلف فيه القول في ستة فصول. الفصل الأول: في الحرب. والفصل الثاني: في الرق. والفصل الثالث: في تعدد الزوجات. والفصل الرابع: في الطلاق. والفصل الخامس: في معاملة غير المسلمين. والفصل السادس : في الضرائب. ولقد فصل القول في الفصل الخامس في معاملة غير المسلمين فتحدث عن الدعوة إلى التسامح وصور من التسامح الفعلي. وكذلك في الفصل السادس خصص مبحثا للحديث عن مظاهر العدالة والسماحة في الضرائب على غير المسلمين.

وجه الاتفاق بين البحثين: إن البحثين يتفقان من حيث الحديث عن التسامح وإظهار صورها في معاملات المسلمين وغيرهم.

وجه الاختلاف بين البحثين: إلا أن البحثين يختلفان من حيث تطبيق وسرد النماذج التي ركز عليها الباحثان. فالباحث الأول: ركز على الحرب والرق والضرائب. والبحث الحالي: ذكر في نماذج التسامح: البر وصلة الرحم والنفقة والهبة وأكل الذبيحة والزواج والمصاهرة.

2. عناصر البحث

يتكون هذا البحث من العناصر الآتية:-

المقدمة وهي تحتوي على:

- أهمية البحث.
- مشكلة البحث.
- أسئلة البحث.

– أهداف البحث.

– عناصر البحث

النقطة الأولي: مفهوم التسامح في الإسلام.

النطقة الثانية: نظرة الشريعة الإسلامية إلى أهل الكتاب.

النقطة الثالثة: نماذج من تسامح الشريعة الإسلامية مع أهل الكتاب.

النقطة الرابعة: من تطبيقيات سماحة الشريعة الإسلامية.

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات ثم أهم المراجع والمصادر.

1 مفهوم التسامح في الإسلام.

إن كلمة سمح لغة: تعني لاَنَ وسَهُلَ. ويقال سمح العود استوى وتجرد من العقد وانقاد بعد استصعاب وفلان بذل في العسر واليسر عن كرم وسخاء ويقال سمح له بحاجة يسرها له. وسمح سمحا وسماحة لان وسهل وتسامح في كذا تساهل. والسماح التسامح والتساهل. والسماحة: الجود والكرم[1].

والسماحة في الاصطلاح: تقال على وجهين:

الأول: ما ذكره الجرجاني من أن المراد بها بذل مالا يجب تفضلا[2].

والآخر: في معنى التسامح مع الغير في المعاملات المختلفة ويكون ذلك بتيسير الأمور والملاينة فيها التي تتجلى في التيسير وعدم القهر وسماحة المسلمين التي تبدو في معاملاتهم المختلفة سواء مع بعضهم أو مع غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى[3].

فالسماحة صفة محمودة ينبغي على كل مسلم ومسلمة الاتصاف بها لما فيها من الخير والبركة، فهي صفة اتصف بها خالقنا واتصف بها الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعون رضوان الله عليهم أجمعين.

ولقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تبين سماحة الله تعالى لعباده منها: قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا[4]". ومنها وقوله تعالى: "وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا[5]" وقوله تعالى أيضا: "وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا

---

(1) مصطفى، إبراهيم و الزيات، أحمد و عبد القادر، حامد والنجار، محمد، **المعجم الوسيط**. مادة "سمح"

(2) الجرجاني، **التعريفات**. ص 127

(3) مجموعة من المتخصصين. **موسوعة نضرة النعيم**. مادة: "السماحة: ص2288

(4) سورة النساء. الآية: 48.

(5) سورة الفرقان. الآية:68 – 71.

السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ[1]".

ومن الأحاديث النبوية الشريفة ما يدل على أن الإسلام دين السماحة ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" اسمح يسمح لك[2]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عنه قال: "إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة .[3]

2 نظرة الشريعة الإسلامية إلى أهل الكتاب

المراد بأهل الكتاب أو الذين أوتوا الكتاب هم اليهود والنصارى.

والسبب في هذه التسمية هو أن اليهود هم قوم موسى عليه السلام، وقد أوتي التوراة، والنصارى هم قوم عيسى عليه السلام، وقد أوتي الإنجيل. ولقد بشرَا قومهم بمجيء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقرءوا ذلك في كتبهم وكانوا على علم ويقين به ويعرفونه كما يعرفون أبناهم كما جاء ذلك في القرآن الكريم، قال تعالى: "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ[4]" وخير الدليل على ذلك بشارة سيدنا عيسى عليه السلام لأهله الواردة في القرآن قال تعالى"وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ[5]" وشهادة ورقة بن نوفل – النصراني- للسيدة خديجة رضي الله عنها لما أخبرته بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم عند بدء نزول الوحي[6].

---

[1] سورة فصلت. الآية: 34-35.

[2] أخرجه أحمد في المسند رقم الحديث: 2233. وصححه شعيب الأرنؤوط.

[3] اخرجه البخاري في **الصحيح**، كتاب الإيمان، رقم الحديث: 38.

[4] سورة البقرة. الآية: 146

[5] سورة الصف. الآية: 6.

[6] ونص الحديث: عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: { اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم } فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعا ليتني أكون حيا إذ يخرجك

وكذلك شهادة ميسرة لما سافر مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشام ورآه راهب عُرف ببحيرى فقال هذا سيد العالمين[1].

ونظرة الإسلام إلى الذين أوتوا الكتاب لم تخرج عن حدود العدالة والسماحة التي قامت عليها مبادئ الإسلام منذ القدم، فالإسلام دعا إلى إحسان المعاملة معهم وقد منح لهم حرية الاعتقاد فلم يجبر الله أحدا أبدا أن يترك دينه ويدين بدين الإسلام بل بيّن لهم حقيقة الأمر فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر قال تعالى: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [2]" بل نهى عن مجادلتهم في أمور الدين إلا بالتي هي أحسن فقال تعالى: "وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ[3]" فبين الله للنبي صلى الله عليه وسلم أنه مكلف أن يبلغ الدعوة ويبشر بالإسلام وليس مكلفا أن يحمل الناس عليه بالقوة قال تعالى: "لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ[4]" وقال أيضا "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ[5]" وأمر المسلمين بوفاء العهد لمن عاهدهم سواء أكانوا من أهل الكتاب أم من المشركين بقوله: "وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا[6]".

وبالتتبع لكتب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم يظهر جليا كيف عاش عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين مع أهل الكتاب في مكة والمدينة؟ فالنبي صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى في ذلك فهو يزور جاره اليهودي ويحسن إليه ويحضر ولائمهم ويجالسهم ويواسيهم في مصائبهم ويعاملهم معاملة طيبة التي يتبادلها المجتمعون في جماعة يحكمها قانون واحد. فقد كان يقترض منهم نقودا ويرهنهم متاعا ولم يكن ذلك عجزا من أصحابه عن اقتراضه فإن بعضهم كان ثريا وكلهم يتلهف على أن يقرضوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان يفعل ذلك تعليما لأمته وتثبيتا عمليا يدعو إليه من سلام ووئام ودليلا على أن الإسلام لا يقطع علاقات المسلمين مع مواطنيهم من غيرهم. وها هو من أشد بطشا على المشركين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أيد الله به الدين كان يوما بالشام وقد حان وقت الصلاة وهو في كنيسة القيامة فطلب البطريق من عمر أن يصلي بها، وهَمَّ أن يفعل ثم اعتذر بأنه يخشى أن يصلي بالكنيسة فيدعي المسلمون فيما بعد أنها مسجد لهم فيأخذوها من النصارى[7].

قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أومخرجي هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي" أخرجه البخاري في **الصحيح**. كتاب بدء الوحي. رقم الحديث: 3.

[1] المباركفوري، **الرحيق المختوم**. ص65.

[2] سورة البقرة. الآية: 256.

[3] سورة العنكبوت. الآية: 46.

[4] سورة الغاشية. لآية: 22.

[5] سورة يونس. الآية: 99.

[6] سورة الإسراء. الآية: 34.

[7] انظر: المباركفوري، **الرحيق المختوم**. ص184

3 نماذج من تسامح الشريعة الإسلامية مع أهل الكتاب في المعاملات

هناك نماذج كثيرة تبين مدى سماحة الإسلام في المعاملة مع غير المسلمين في معاملاتهم اليومية، في الأحوال الشخصية كالزواج والمصاهرة، وفي المعاملات التجارية كالبيع والشراء، والبر والصلة والزيارة والنفقة والهبة كما إذا كان أحد الأبويه من أهل الكتاب، وغير ذلك من المعاملات التي بينت الشريعة حدود التعامل وبينت مدى سماحتها مما يُشعر أهل الكتاب الراحة النفسية والثقة التامة عندما يتعامل مع المسلم ويزين له ذلك عدالة الإسلام ومراعاتها لحقوق الآخرين. ولقد اقتُصر الحديث عن هذه النماذج في البر وصلة الرحم والهبة والنفقة وأكل الذبيحة والزواج والمصاهرة.

3. 1 البر

البِرُّ لغة: الصلة والجنة والخير والا تساع في الا حسان والحج ويقال: بَرَّ حَجُّكَ وبُرَّ بفتح الباءِ وضمّها فهو مَبْرورٌ و الصِّدْقُ والطاعةُ[1].

قال الشيخ القرضاوي: والبر كلمة جامعة لمعاني الخير والتوسع فيه فهو أمر فوق العدل[2].

والبر مطلوب شرعا لأولي الأمر من الآباء والأمراء بشرط عدم عصيان الله سبحانه وتعالى. قال تعالى: "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا[3]". والآباء من أولي الأمر. وأكد الله وجوب بر الوالدين بنص آخر القرآن الكريم حيث قضى به بعد برهسبحانه وتعالى فقال: "وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا. إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا[4]" وهو يعني طاعتهما وصلتهما وعدم عقوقهما والإحسان إليهما مع إرضائهما بفعل ما يريدان ما لم يكن إثما[5]. وقد ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أى العمل أفضل؟ قال: الصلاة لوقتها. قال قلت: ثم أى قال: بر الوالدين. قال قلت: ثم أى قال: الجهاد فى سبيل الله[6]" ولم ينه الله جل شأنه عن مصاحبة الوالدين المشركين بالمعروف و إن برهما وطاعتهما مطلوب شرعا إلا إذا طلبا من ابنهما الشرك بالله، فإنه حينئذ يجب عليه ألا يطيعهما ولا يعمل بقولهما ولكن مع هذا يجب أن تظل العلاقة بينهما قائمة على أساسها المعاملة بالمعروف، يقول الله تعالى "وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ

---

(1) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**. مادة: "البر" ج1 ص444

(2) القرضاوي, يوسف الحلال والحرام في الإسلام دار المعرفة 1985م ص 326

(3) سورة النساء. الآية: 59.

(4) سورة الإسراء. الآية: 23.

(5) المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية **الموسوعة الإسلامية العامة** مادة: (البر) ص271

(6) أخرجه مسلم في **الصحيح**. كتاب الإيمان. باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال. رقم الحديث: 262

جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ[1] [2]"

وسبب نزول هذه الآية: أن أم سعد حلفت أن لا تكلمه أبدا حتى يكفر بدينه ولا تأكل ولا تشرب قالت زعمت أن الله وصاك بوالديك وأنا أمك وأنا آمرك بهذا قال مكثت ثلاثا حتى غشي عليها من الجهد فقام ابن لها يقال له عمارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية:" "وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ[3]"[4].

والآية بينت ما يجب على الإنسان من حق الإحسان للوالدين سواء كانا مسلمين أو غير مسلمين، وفي نفس الآية نهى الله سبحانه وتعالى عن برهما وطاعتهما في الشرك والمعصية.

3. 2 صلة الرحم

الصلة لغة: الوصل. وصلة الرحم: فهي العطف والرحمة. وذو الأرحام: هم الأقارب الذين ليسوا من العصبة ولا من ذوي الفروض كبنات الإخوة. وقال النووي: "صلة الرحم هي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول فتارة تكون بالمال وتارة بالزيارة والسلام وغير ذلك"[5]. فصلة الرحم بالنسبة للأبوين وغيرهما واجبة عند الحنفية والمالكية والحنابلة واستدلوا بقوله تعالى: "وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا[6]" وفصل الشافعية بين الأبوين وغيرهما فاتفقوا مع غيرهم على وجوب بر الوالدين وذهبوا إلى أن صلة غيرهما من الأقارب سنة[7].

وتحصل صلة الأرحام بأمور عديدة منها: الزيارة، والمعاونة، وقضاء الحوائج، والسلام. وبالصلة وما فيها من المعاونة وحسن المعاملة تظهر لغير المسلمين حقيقة الإسلام وسماحته.

والكل يعرف أن الإسلام انتشر في إفريقيا وآسيا وغيرهما من بلدان العالم عن طريق التواصل وحسن المعاملة التي عُرف المسلمون بها وذلك في تجارتهم وأمانتهم ومعاملتهم اليومية، فالإسلام لم يقطع التواصل وصلة الرحم بين المسلمين وذويهم الذين لم يسلموا حيث قال تعالى: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [8]" وقال أيضا "فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ[9]" وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يصل ويحسن إلى أعمامه كأبي طالب إلى أن وافته المنية والعباس إلى أن أسلم وإلى غيرهما أيضا وبذلك أظهر للناس جمال وسماحة الإسلام فدخلوا في دين الله أفواجا.

3. 3 الهبة

---

(1) سورة العنكبوت. الآية: 8.

(2) لجنة من أساتذة كلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر القاهرة.

العلاقات الدولية في الفقه الإسلامي 1994 ص75

(3) سورة العنكبوت. الآية: 8.

(4) أخرجه مسلم في **الصحيح**. كتاب فضائل الصحابة. باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. رقم الحديث: 4432

(5) مجموعة من المتخصصين. موسوعة نضرة النعيم

(6) سورة النساء. الآية: 1.

(7) المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية **الموسوعة الإسلامية العامة** مادة: (صلة الرحم) ص 877

(8) سورة البقرة. الآية: 256.

(9) سورة الشورى. الآية: 15.

الهبة: في اللغة التبرع. وفي الشرع: تمليك العين بلا عوض.[1].

فالهبة مرغوب فيها في الإسلام بكل أنواعها لأنها من باب التعاون. وهي للأقارب أشد استحباب وأكثر ندبا وأفضل ثوابا وأجرا لما يكون فيها إلى جانب البر والتعاون من صلة الرحم الذي أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم ولما فيها من تعبير عن الإكرام والود والاحترام والمحبة والإنسان مجبول على حب من أكرمه وأحسن إليه وأظهر له وده واحترامه لقول صلى الله عليه وسلم: "تهادوا تهابوا"[2].

والهبة ليست قاصرة للأقارب المسلمين فحسب بل حتى غير المسلمين لقوله تعالى: "لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ[3]" قال الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الأية " وتقسطوا إليهم" أي و تعطوهم قسطا من أموالكم على وجه الصلة وليس يريد به من العدل فإن العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل[4].

ومما يؤيد ذلك حديث عمربن الخطاب رضي الله عنه، عن عبد الله بن دينار قال: سمعت ابن عمر، رضي الله عنهما يقول رأى عمر حلة سيراء تباع فقال يا رسول الله ابتع هذه والبسها يوم الجمعة، وإذا جاءك الوفود قال إنما يلبس هذه من لا خلاق له فأتي النبي صلى الله عليه وسلم منها بحلل فأرسل إلى عمر بحلة فقال كيف ألبسها وقد قلت فيها ما قلت قال إني لم أعطكها لتلبسها ولكن تبيعها ، أو تكسوها فأرسل بها عمر إلى أخ له من أهل مكة قبل أن يسلم[5]".

ووجه الاستدلال من الحديث هو أن سيدنا عمر بن الخطاب أرسل هذه الحلة هبة أو هدية لأخيه وهو مشرك ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم فعله هذا.

وكذلك حديث أسماء رضي الله عنها، قَالَتْ قَدِمَتْ أُمِّي وَهْيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ وَمُدَّتِهِمْ إِذْ عَاهَدُوا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم مَعَ أَبِيهَا فَاسْتَفْتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهْيَ رَاغِبَةٌ (أَفَأَصِلُهَا) قَالَ نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ[6]" فالنبي صلى الله عليه وسلم أمرها أن تصل أمها وتقدم لها كل أنواع الخير والبر.3

3. 4 النفقة

النفقة لغة: اسم من الإنفاق وما ينفق من الدراهم ونحوها والزاد وما يفرض للزوجة على زوجها من مال للطعام والكساء والسكنى والحضانة ونحوها (ج) نفقات ونفاق [7].

واصطلاحا: كفاية من يمونه خبزا وأداما وكسوة ومسكنا وتوابعها[1].

---

(1) الجرجاني، **التعريفات**. ص 127

(2) اخرجه البخاري،**الأدب المفرد**. كتاب المريض. باب قبول الهدية، ط3، ج1 ص208 رقم الحديث:594.

(3) سورة الممتحنة. الآية: 8

(4) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. ج18 ص59

(5) أخرجه البخاري **في الصحيح**. كتاب الأدب. باب صلة الأخ المشرك. رقم الحديث: 5981

(6) أخرجه البخاري **في الصحيح**. كتاب الأدب. باب صلة المرأة أمها ولها زوج. رقم الحديث: 5979

(7) الفيروز آبادي، **القاموس المحيط** . مادة: "النفقة"

وأسباب النفقة هي: العلاقة الزوجية و علاقة القرابة.

والدليل قوله تعالى: "وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا[2]"وقوله صلى الله عليه وسلم: "...فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف...[3]".

ومن مظاهر رحمة الله وسماحته أن أباح الزواج بالمحصنات من أهل الكتاب، قال الله تعالى: "الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ[4]" فإذا تزوج مسلم بامرأة من أهل الكتاب فإنه يجب عليه نفقتها كما يجب على زوجته المسلمة، لأنها زوجة ولعموم أدلة وجوب نفقة الزوجة على الزوج. وكذلك تجب النفقة على الأبوين الكافرين بموجب علاقة القرابة كما ورد في تفسير القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: "وتقسطوا إليهم" قال: قال القاضي أبوبكر في كتاب الأحكام له" استدل يه بعض مَن تُعقد عليه الخناصر على وجوب نفقة الابن المسلم على أبيه الكافر [5]. وذكر ابن حجر العسقلاني في الفتح قال الخطابي: فيه أن الرحم الكافرة توصل من المال ونحوه كما توصل المسلمة ، ويستنبط منه وجوب نفقة الأب الكافر وإن كان الولد مسلما[6].

3. 5 أكل الذبيحة

ومن باب الرحمة وسماحة الإسلام أن أباح الله للمسلمين أكل طعام أهل الكتاب وذبيحتهم وذلك في قوله تعالى: "الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ[7]" والمراد بالذين أوتوا الكتاب هم اليهود والنصارى. والمراد بطعامهم: ذبائحهم خاصة، وهذا مذهب جمهور العلماء. قالوا لأن ما سوى الذبائح فهي محللة قبل أن كانت لأهل الكتاب وبعد أن صارت لهم فلا يبقى تخصيصها بأهل الكتاب فائدة، وقيل المراد بطعام أهل الكتاب هنا: الخبز والحبوب والفاكهة وغير ذلك مما لا يحتاج فيه إلى تذكية

---

(1) المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية. **الموسوعة الإسلامية العامة**. مادة "النفقة" ص1412

(2) سورة البقرة. الآية: 233.

(3) أخرجه مسلم في **الصحيح**. كتاب الحج. باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم. رقم الحديث: 2137

(4) سورة المائدة. الآية: 5

(5) القرطبي, **الجامع لأحكام القرآن** ج28 ص 550

(6) العسقلاني, **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. ج5ص 260-261.

(7) سورة المائدة. الآية: 5

وينسب هذا القول إلى بعض طوائف الشيعة[1] وقال القرطبي: وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم، ابتداء وخبر، والطعام اسم لما يؤكل والذبائح منه، وهو هنا خاص بالذبائح عند كثير من أهل العلم بالتأويل وأما ما حرم الله علينا من طعامهم فليس بداخل تحت عموم الخطاب، قال ابن عباس قال الله تعالى"ولا تأكلوا مما لم يذكراسم الله عليه. ثم استثنى فقال "وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم" يعني ذبيحة اليهودي والنصراني وإن كان النصراني يقول عند الذبح "باسم المسيح" واليهودي يقول " باسم عزير" وذلك لأنهم يذبحون على الملة[2].

وإذا لم نعلم أذكر اسم الله أم لا؟ أو سمي الذابح أم لا؟ في هذه الحالة الذبيحة حلال، لأن الله تعالى أباح لنا أكل ما ذبحه المسلم والكتابي وقد علم أننا لا نقف على كل ذابح، وقد روي عن عائشة أم المؤمنين ، أن قوما قالوا : يا رسول الله ، إن قوما يأتونا بلحم لا ندري ذكر اسم الله عليه أم لا ؟ قال : سموا أنتم وكلوا[3]".

3. 6 الزواج والمصاهرة

لقد أباح الله على رجال أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الزواج من محصنات أهل الكتاب ومصاهرتهم وذلك في قوله تعالى" وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ[4]"

قال الشيخ سيد محمد طنطاوي في تفسيره الوسيط: "ثم بيّن سبحانه حكم نكاح أهل الكتاب بعد بيان حكم ذبائحهم فقال:" والمحصنت من المؤمنت والمحصنت من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان" والمعنى : وكما أحل الله لكم أيها المؤمنون الطيبات من الرزق وأحل لكم ذبائح أهل الكتاب وأحل لكم أن تطعموهم من طعامكم فقد أحل لكم أيضا نكاح المحصنات من المؤمنات أي العفيفات الحرائر لأنهن أصون لعرضكم وأنقى لنُطفكم وأحل لكم نكاح النساء المحصنات أي الحرائر العفيفات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم أي من اليهود والنصارى. وقال القرطبي: وروي عن ابن عباس في قوله تعالى " والمحصنت من المؤمنت والمحصنت من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسفحين ولا متخذي أخدان" هذا على العهد دون دار الحرب فيكون خاصا، وقال غيره يجوز نكاح الذمية والحربية لعموم الآية[5].

وأما عن المصاهرة فالنبي صلى الله عليه وسلم قد صهر اليهودي بعد فتح خيبر لما تزوج بصفية بنت حيي بن أخطب سيدة قريظة وبني النضير لما جعلت في السبايا قتل

---

(1) طنطاوي،. **التفسير الوسيط**. م4 ص51

(2) القرطبي, **الجامع لأحكام القرآن**. ج6 ص37

(3) أخرجه ابن ماجه في **السنن**. كتاب الذبائح. باب التسمية عند الذبح. رقم الحديث:3173

(4) سورة المائدة. الآية: 5

(5) أنظر: طنطاوي، **التفسير الوسيط**. م4 ص53-54

زوجها فعرض عليها النبي الإسلام فأسلمت فأعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها[1].

4 من تطبيقات سماحة الشريعة الإسلامية

إن الأمثلة والتطبيقات للسماحة في الشريعة الإسلامية كثيرة سواء في القرآن الكريم أو في السنة النبوية الشريفة أو في حياة الصحابة الكرام. حيث دعا الله أمة الإسلام إلى التسامح بينهم فقال تعالى:"ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ[2]"

هناك أمثلة كثيرة تدل على سماحة الرسول صلى الله عليه وسلم منها سماحته صلى الله عليه وسلم مع أهل الطائف، قصة مشهورة مليئة بأنواع الرحمة والسماحة ذكرها أصحاب السير كابن هشام في السيرة النبوية وابن كثير في البداية والنهاية وكذا المباركفوري في الرحيق المختوم خلاصتها: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما اشتد عليه أذى أهل مكة خرج إلى الطائف ومعه مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه وكان كلما مر على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام فلم تجب إليه واحدة منها حتى انتهى إلى الطائف وأقام بين أهلها عشرة أيام لا يدع أحدا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلادنا وأغروا به سفهاءهم، فلما أراد الخروج تبعه سفهاؤهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس، فوقفوا له سِمَاطيْن — أي صفيْن — وجعلوا يرمونه بالحجارة وبكلمات من السفه ورجموا عراقيبه حتى اختضب نعلاه بالدماء وكان زيد بن حارثة رضي الله عنه يقيه بنفسه حتى أصابه شِجاجفي رأسه ولم يزل به السفهاء كذلك حتى ألجأوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة على ثلاثة أميال من الطائف فلما التجأ إليه رجعوا عنه وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حبلة من عنب فجلس تحت ظلها إلى جدار فلما جلس إليه واطمأن دعا بالدعاء المشهور الذي يدل على امتلاء قلبه كآبة وحزنا مما لقي من الشدة وأسفا على أنه لم يؤمن به أحد. قال: فرفعتُ رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال مسلم عليَّ ثم قال: يا محمد فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. — جبلين بمكة — فقال صلى الله عليه وسلم " بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم مَن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا[3]".

ولقد صدقتْ أمُّنا عائشة رضي الله عنها لما سُئلت عن أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: كان خلقه القرآن أما تقرأ القرآن قول الله عز و جل: "وإنك لعلي خلق عظيم[4]"، [5]. وها هو يتجلى بثوب قوله تعالى: "ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ

---

[1] أنظر: المباركفوري، **الرحيق المختوم** ص 324-325

[2] سورة فصلت. الآية: 34- 35.

[3] أخرجه البخاري في **الصحيح**. كتاب بدء الخلق. باب ذكر الملائكة. رقم الحديث: 2992

[4] سورة ن. الأية: 4

[5] أخرجه أحمد في **المسند**. رقم الحديث: 24645. وصححه شعيب الأرنؤوط

(34) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ[1]". وذلك بعد فتح مكة مع مشركي قريش لما جمعهم فقال يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم. قال: فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخيه "قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ [2] اذهبوا فأنتم الطلقاء[3].

وإن سماحة الرسول صلى الله عليه وسلم لتتجلى حتى في الوقت الذي تطمئن فيه النفوس إلى الانتقام، فقد كانت الأمم تعامل أسراها معاملة العدو البغيض فتقتلهم أو تبيعهم أو تسترقهم وتسخرهم لأشق الأعمال، أما الرسول صلى الله عليه وسلم فقد عامل أسرى بدر معاملة حسنة ذلك بأنه وزع الأسرى السبعين على أصحابه وأمرهم أن يحسنوا إليهم فكانوا يفضلونهم على أنفسهم في طعامهم، ثم استشار أصحابه في شأنهم فأشير عليه بقتلهم وأشير عليه بفدائهم فوافق على الفداء وجعل فداء الذين يكتبون أن يعلم كل منهم عشرة من صبيان المدينة الكتابة، وأشير عليه أن يمثل بسهيل بن عمرو – أحد المحرضين على محاربة المسلمين – بأن ينزع ثنيته السفلين فلا يستطيع الخطابة، فرفض النبي وقال: لا أمثل به فيمتثل الله بي وإن كنت نبيا[4]. وبهذه الصفة المحمودة وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بقوله: "الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء[5]" فأسسوا دولتهم الإسلامية على أساس الرحمة والسماحة. وهذا هو سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمر برجل يسأل على الأبواب وكان الرجل شيخا ضريرا فقال له عمر: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال يهودي قال عمر: فما الذي ألجأك إلى ما أرى؟ قال: الجزية والحاجة والسن، فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله وأعطاه مما وجده، ثم أرسل إلى خازن بيت المال وقال له: انظر هذا وضرباءه، فوالله ماانصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم، ووضع عنه الجزية وأمر أن يعطى من الصدقات قوم من النصارى مصابون بالجذام وأن يرتب لهم القوت[6]. فهكذا عامل الإسلام والمسلمون غيرهم من أهل الكتاب والمشركين معاملة طيبة بكل أنواع السماحة والإنسانية وبهذه السماحة والإنسانية والأمانة والعدل دخل الناس في دين الإسلام أفواجا وفضلوا البقاء تحت دولة الإسلامية، ولقد حقق الإسلام لهم أملهم حيث وفر لهم حرية البقاء في ديارهم ووظائفهم وتركهم على دينهم وحرم على المسلمين الاعتداء عليهم بأي نوع من أنواع الاعتداء وذلك بقوله تعالى"وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ[7]" واستمرت هذه السماحة مع أهل الكتاب في أيام الفتوحات ويتجلى ذلك في فتح الفرس حيث لم يخب أمل الفرس في عدالة المسلمين وسماحتهم فقد أبقوهم على دينهم،

---

(1) سورة فصلت. الآية: 34- 35.

(2) سورة يوسف. الآية: 92.

(3) المباركفوري، **الرحيق المختوم**. ص 348

(4) الحوفي، **سماحة الإسلام**. ص183

(5) أخرجه الترمذي في **السنن**. كتاب البر والصلة. باب رحمة المسلمين. رقم الحديث: 1924. قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح

(6) أنظر: لحوفي، **سماحة الإسلام**:ص185

(7) سورة التوبة. الآية: 6.

وكفلوا لهم حريتهم في عبادتهم ومعابدهم، ومما يدل على ذلك أن أحد قواد الخليفة المعتصم بالله أمر بجلد إمام ومؤذن لأنهما اشتركا في هدم معبد من معابد المجوس لتستخدم أحجاره في بناء مسجد مكانه. ومما يدل على ذلك أيضا أن معابد النار في القرن العاشر الميلادي بعد الفتح بثلاثة قرون كانت تملأ طرق فارس وكرمان وسجستان وخراسان وأذربيجان حتى أنه لم يخل بمدينة من مدن فارس من معبد أو معابد لعبادة النار، ولا شك أن بقاء عبدة النار بهذه الكثرة بعد الفتح دليل على أن المسلمين لم يجبروا أحدا على دينهم ودليل على أن الذين أسلموا من الفرس إنما أسلموا عن رغبة صادقة وحرية كاملة بعد ما تبين لهم بأن دينهم معوج غير مستقيم[1]، بهذه الصفة المحمودة وغيرها من الأخلاق المحميدة حقق السابقون للأمة الإسلامية آمالهم من دخول الناس في دين الله أفواجا، وحققوا لغيرهم أن يعيشوا في بلادهم وفي بلاد المسلمين مطمئين آمنين.

5. الخاتمة: نتائج البحث

في ختام في هذا البحث يأتي ذكر أهم نتائج البحث وهي كالآتي :

1- إن الإسلام دين بنى الله أُسسه على الرحمة والسماحة وحسن المعاملة مع الغير.

2- إن اختلاف العقيدة لم يجعله الله وسيلة للاعتداء على الغير أو سببا لتدمير المجتمع.

3- إن الله سبحانه وتعالى بيّن حدود المشروع لنا في معاملاتنا مع أهل الكتاب ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قدوة حسنة في ذلك.

4- إن الإسلام لم ينتشر في أنحاء العالم بالسيف أو القوة بل بحسن معاملة المسلمين وتطبيقهم لسماحة الإسلام في برهم وبحرهم.

هذا، ونسأل الله تعالى أن يوفقنا للصواب ويعصمنا من الزلل إنه ولي ذلك والقادر عليه.

[1] انظر: الحوفي، **سماحة الإسلام**. ص 189

أهم المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم
2. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، **الأدب المفرد**، ط3،(بيروت:دار البشائر الإسلامية، 1409 – 1989).
3. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، **صحيح البخاري**، ط3،(اليمامة:دار ابن كثير، 1407 – 1987م).
4. الجرجاني، علي بن محمد ابن علي، **التعريفات**، ط1،(بيروت: دار الكتاب العربي – 1405هـ).

5. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**،د.ط، (بيروت:دار المعرفة، د.ت).
6. الحوفي، أحمد محمد. سماحة الإسلام (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية جمهورية مصر العربية. 1422هـ – 2001م)
7. الخضري، محمد. **نور اليقين في سيرة سيد المرسلين** (المنصورة: مكتبة الإيمان 1999)
8. السيوطي، جلال الدين. **أسباب النزول** (القاهرة: دار الفجر للتراث 2002)
9. طنطاوي، محمد سيد. **التفسير الوسيط** (مصر: دار المعارف 1993)
10. أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي،**سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون،د.ط،(بيروت:دار إحياء التراث العربي، د.ت).
11. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب. **القاموس المحيط** (القاهرة: مكتبة الحلبي 1952)
12. القرضاوي, يوسف **الحلال والحرام في الإسلام** (بيروت: دار المعرفة 1985م)
13. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح،**الجامع لأحكام القرآن" تفسير القرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2،(القاهرة:دار الكتب المصرية، 1384هـ – 1964م).
14. القزويني، محمد بن يزيد أبو عبدالله، **سنن ابن ماجه**،تعليق محمد فؤاد عبد الباقي،د.ط، (بيروت:دار الفكر، د.ت).
15. لجنة من أساتذة كلية الشريعة والقانون جامعة الأزهرالشريف. **العلاقات الدولية في الفقه الإسلامي**. (القاهرة : 1994)
16. المباركفوي، صفي الرحمن. **الرحيق المختوم** (مصر: دار الوفاء)2005
17. المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية. **الموسوعة الإسلامية العامة** (القاهرة: وزارة الأوقاف المصرية 1422هـ - 2001م)
18. مجموعة من المتخصصين. **موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم** (جدة: دار الوسيلة د. ت)
19. مصطفى، إبراهيم و الزيات، أحمد و عبد القادر، حامد والنجار، محمد، **المعجم الوسيط**، دط، (القاهرة: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، د.ت).
20. النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، **صحيح مسلم**،د.ط، (بيروت:دار الجيل و دار الأفاق الجديدة، د.ت).